الخيط الرفيع

مثل كل الأمهات، عندما بدأ «آدم» عامه الرابع ولم يبدِ أي اهتمام بالرسم أو الكتابة أو القلم، بدأت أقلق! راسلت موجهتي في دراسة المونتيسوري وشاركتها مخاوفي! ردت في سرعتها المعهودة وقالت لي أن أثق بطفلي وأن أثق بنهج المونتيسوري! لقد تدرب «آدم» على استخدام الإبهام والسبابة معًا في أنشطة كثيرة، وتدرب على استخدام الملعقة والسكين، وبدأ يستخدم المقص ورسم بأصابعه وبفرش الألوان، ويشارك في أعمال المنزل جميعها من تلميع وتنظيف وغسل مواعين ومسح وعصر ونشر!

مر العام الرابع بالكامل ولم يبدِ «آدم» أي اهتمام بالكتابة! يمل السبورة والطباشير واللوحة البيضاء والأقلام القابلة للمسح والورقة والقلم وكتب التلوين! راسلت موجهتي مرة أخرى وأنا في غاية القلق! سألتني عن وقته وكيف يقضيه! قلت لها إنه يدق المسامير في ألواح الخشب، ويركب البازل، ويبني أشكالًا بالمكعبات والخشب، ويدير حوارات وهمية مع أفراد العائلة على الهاتف، ويتسلق الأشجار، ويركب دراجته، ونقرأ معًا الكتب العلمية والقصص، ونقوم بالعديد من التجارب العلمية في المنزل، وأنه مهتم بالظواهر الكونية والطبيعة! ردت قائلة إنه سوف يكتب قريبًا وسوف يفاجئني!

في منتصف عامه الخامس شارك «آدم» والده في تلوين صفحة من كتاب تلوين للكبار، وأخيرًا تحققت النبوءة! بعدها بدأت أعرض عليه رسومات ليتتبعها ومتاهات وورق وألوان وأقلام واستمر في إبهاري! هو ليس متفوقًا عمن في مثل عمره، ولكن سبب انبهاري هو كيف وصل إلى هذه النتيجة رغم كل مخاوفي! بدأت أفكر في الأطفال الذين يجبرون على استخدام القلم قبل أوانهم، والمدارس التي تتباهى وتتفاخر بالأعباء المنزلية التي تثقل بها كاهل الطفل! راجعت بريدي ووجدت رسائل من أمهات عديدات يشتكين من نفس المشكلة، طفل في الرابعة أو الخامسة يرفض الواجب ويكره المدرسة ويهرب من الأم! رسائل معبَّأة بالتوتر والنفور والغضب والعنف وشكوى متكررة!

اكتشفت أن الطفل يظل حتى 6 سنوات في مراحل تجارب مختلفة على مسكة القلم، وتتطور مسكة القلم مع نموه الجسدي والعضلي والعقلي! فيبدأ الطفل بالإمساك بالقلم بكامل قبضته، ثم تتطور المسكة ليمسك بالقلم بعرض قبضته، ثم يمسك القلم بأصابعه الخمس، وأخيرًا يكتشف الإمساك بالقلم باستخدام السبابة والإبهام والوسطى. المفاجأة الأكبر هي أن الطفل لا يكتب بتمكن وأريحية قبل ست سنوات، وأن قبل هذا كل محاولات غصب الطفل على الإمساك بالقلم بطريقة «صحيحة» أو التلوين بطريقة «صحيحة» أو الكتابة بطريقة «صحيحة» سوف ينتج عنها طفل سيئ الخط وكاره للدراسة والمدرسة والواجب وكل ما يخص التعليم!

كنت أظن أيضًا أن الطفل يكتب عندما تكون عضلات أصابعه قوية، وعندما يوجد توافق عضلي عصبي بين العين واليد! هذا جزء ضئيل من الحقيقة! يحتاج الطفل عضلات قوية في ظهره وأكتافه وذراعيه! يحتاج توازنًا عامًّا في حركته! يحتاج أن يركز لمدة عشر أو 15 دقيقة! يحتاج أن يدرك أهمية الحروف وأن يكون شغوفًا بالقراءة والكتب!

تابعت خطوط «آدم» وقدراته فوجدت أنه يمسك القلم بطريقة خاطئة وأنه ضعيف جدًّا في تتبع الخطوط والكلمات وأنه لا يتحكم بالقلم جيدًا. هل ترون المشكلة؟ هل ترون الخيط الرفيع بين نمو الطفل الطبيعي وعسر الكتابة بسبب مشكلة ما في الجهاز العصبي؟ للأسف، يعاني «آدم»، وأعاني معه، من الديسبراكسيا التي تؤثر على الرسائل بين المخ والعضلات، تؤثر على الحركة والتوازن والتوافق والكلام والكتابة. أحيانًا كثيرة أتمنى

ألا أكون مضطرة إلى تعليمه. بعيدًا عن القراءة والكتابة، «آدم» طفل جميل ولا توجد أي أسباب أخرى للشقاق بيننا. لا أرى صعوباته تلك إلا في التعليم. نبذل معًا مجهودًا مضاعفًا عدة أضعاف بالمقارنة بطفل آخر ينمو نموًّا طبيعيًّا.